تَسَانُدُ مَدَاخِلِ التَّأْوِيلِ فِي شَرْحِ خِطَابِ التَّقْدِيمِ

(شَرْحُ شَرَفِ الدِّينِ الطِّيبِي(ت743هـ) عَلَى مُقَدِّمَةِ الْكَشَّافِ لِلزَّمَخْشَرِيِّ (ت538هـ) اِخْتِيَارًا)

Interpretation entries support in explaining the introduction speech (Explanation of Sharaf al-Din al-Tibi (D743H) on the Introduction to al-kashaaf by al-Zamakhshari (D538H) a choise)

طالب الدكتوراه : بن خريدلة محمد

الأستاذ الدكتور: لزهر كرشو

قِسْمُ اللُّغَةِ وَالْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ -جَامِعَةُ الشَّهِيدِ حَمَّهْ لَخْضَرْ- الْوَادِي(الجَزَائِر)

مَخْبَرُ بُحُوثٌ فِي الأَدَبِ الْجَزَائِرِيِّ وَنَقْدِهِ، جَامِعَةُ الوَادِي.

benkhridla–mohammed@univ–eloued.dz

تاريخ الإيداع: 2022/04/01 تاريخ القبول: 2022/06/28 تاريخ النشر: 2022/09/15

مُلَخَّصُ الْبَحْثِ:

يُعَدُّ شَرْحُ الخِطَابَاتِ وَتَأْوِيلُهَا مِنْ أَجَلِّ أَلِيَاتِ الْقِرَاءَةِ فِي نِظَامِ التَّلَقِي؛ ذَلِكَ أَنَّ التَّأْوِيلَ نَشَاطٌ مَعْرِفِيٌّ وَجِهَازٌ قِرَائِيٌّ، تَسْتَغِلُّهُ الذَّاتُ الْمُؤَوِّلَةُ فِي فَهْمِ مَوْضُوعِهَا الْمُتَمَثَّلِ لَهَا فِي صُورَةِ نُصُوصٍ وَخِطَابَاتٍ، عَبْرَ تَفْسِيرِ الْمَعَانِي وَتَحْصِيلِ الْمَقَاصِدِ.

وَخِطَابُ الْمُقَدِّمَاتِ فِي كُتُبِ التَّفَاسِيرِ فِيهِ مِنَ الْمَعَانِي الْمُغْلَقَةِ، وَالْمَقَاصِدِ الْمُضْمَرَةِ مَا يُحرِّضُ نَظَرَ الشَّارِحِ عَلَى تَفْسِيرِهَا وَتَأْوِيلِهَا. لِذَلِكَ جَاءَ هَذَا الْبَحْثُ لِيُقَارِبَ الْخِطَابَ التَّقْدِيمِيَّ فِي تَفْسِيرِ الْكَشَّافِ لِلزَّمَخْشَرِيِّ بِوَسَاطَةِ شَرْحِ شَرَفِ الدِّينِ الطِّيبِي مِنْ مَنْظُورِ نَظَرِيَّةِ تَسَانُدِ الْمَدَاخِلِ التَّأْوِيلِيَّةِ؛ حَيْثُ يُرَاهِنُ أَسَاساً عَلَى إِبْرَازِ خَاصِيَّةِ التَّسَانُدِ بَيْنَ الْمَدَاخِلِ التَّأْوِيلِيَّةِ، وَدَوْرِهَا الْوَظِيفِيِّ فِي تَأْوِيلِ مُقَدِّمَاتِ التَّفَاسِيرِ.

الْكَلِمَاتُ الْمِفْتَاحِيَّةُ: شرف الدّين الطِّيبي؛ الزمخشري؛ التساند؛ التأويل؛ المداخل التأويلية خطاب التقديم.

Abstract:

The interpretation of speeches for the mechanisms of reading in the receiving system is a knowledge activity and a reading apparatus, which is exploited by the self-authored to understand its apparent subject matter in the form of texts and letters, through the interpretation of meanings and the collection of purposes.

The speech of the introductions in the books of interpretations contains closed meanings and embedded purposes, which incites the eyes of the commentator to explain and interpret them.This research therefore came close to the presentation speech in the interpretation of al-kashaaf of Zamakhshari by explaining Sharaf al-Din Tibi from the perspective of a theory that supports the interpretation entries, where he bets mainly on highlighting the characteristic of support between the interpretive entrances and its functional role in interpreting the introductions of interpretations.
key words: Sharaf al-Din al-Tibi; al-Zamakhshari; Support; interpretation; Interpretive entrances; introduction speech.

تَصْدِيرٌ:

أضحى التأويل في الآونة الأخيرة من أكثر المفاهيم التي فتنت أقلام العديد من الدارسين والباحثين على اختلاف تخصصاتهم، الفلسفية، والأدبية، والنقدية، واللغوية؛ ذلك أنَّ التأويل ممارسة إبستيمولوجية يتوقف عليها تشييد صروح المعرفة الإنسانية؛ بل بناء الفهم.

وبما أنَّ اللغة -اعتبارا- هي من أهم الوسائط التي تيسر عملية الفهم، فإنَّ الخطابات على تعدد أصنافها، وتنوع أجناسها تعدُّ فضاء مثاليا لاشتغال فعل التأويل؛ نظرا لما تحتويه من أنواع الالتباس، وبلاغات التجاوز، وضروب المخاتلة، وفنون الإخفاء، وعبقريات التورية، وهذا قياس تعميميٌّ يطول ليشمل خطاب التقديم، كخطاب "الزمخشري" في مقدمة تفسير الكشاف، الذي تصدَّى له "شرف الدين الطِّيبي" بالشرح والتأويل، معتمدا في ذلك على تساند طائفة من الآليات القرائية، والمسالك الاستدلالية المُتضامَّة في شكل مداخل تأويلية.

لهذا آثرنا من مُجمل ما قيل أن نثير الأسئلة التالية: ما مفهوم التساند؟ وما المقصود بالمداخل التأويلية؟ وما مفهوم خطاب التقديم؟ وكيف تتجلى وظيفة التساند بين المداخل التأويلية؟ وما هي أهم مداخل التأويل التي وظفها "شرف الدِّين الطِّيبي" في شرح خُطبة الكشاف؟

للإجابة عن تلك الأسئلة أرسينا للبحث منوالين: منوالا مفاهيميا نُعرِبُ فيه عن مقاصد العنوان من خلال تعريف اللغة الواصفة للبحث وضعا واصطلاحا. ومنوالا إجرائيا جعلناه مساحة تطبيقية للغة الواصفة في الموضوع الموصوف.

أَوَّلاً: الْمِنْوَالُ الْمَفَاهِيمِيُّ

العنوان أول عتبة من عتبات التلقي، وهو خطاب مُوازٍ وعانٍ؛ له مقاصد مطوية تحت مفاهيمه، فلا يمكن اقتحام أيَّ خطاب ما لم نحط فهما بمصطلحاته؛ لأنَّ المصطلحات مفاتيح العلوم، وهي كذلك مفاتيح القراءة.

ونحسب أنَّ المصطلحات التالية: (التساند)، و(مداخل التأويل)، و(خطاب التقديم) كفيلة بأن نسند إليها مهمة توضيح ما نحن بصدده.

1) مَفْهُومُ التَّسَانُد

أ. وَضْعاً:

جاء في مقاييس اللغة: «السِّينُ وَالنُّونُ وَالدَّالُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى اِنْضِمَامِ الشَّيْءِ إِلَى الشَّيْءِ. يُقَالُ سَنَدْتُ إِلَى الشَّيْءِ أَسْنُدُ سُنُوداً. وَالسِّنَادُ: النَّاقَةُ القَوِيَّةُ؛ كَأَنَّهَا أُسْنِدَتْ مِنْ ظَهْرِهَا إِلَى شَيْءٍ قَوِيٍّ. والمُسْنَدُ: الدَّهرُ؛ لأَنَّ بَعْضَهُ مُتَضَامٌّ. وَفُلَانٌ سَنَدٌ: أَيْ: مُعْتَمَدٌ».[1]

وفي معجم اللغة العربية المعاصرة التساند مِنْ: «سَنَدَ الشَّيْءَ: دَعَمَهُ جَعَلَ لَهُ عِمَادًا يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ. وَسَنَدَ الشَّخْصَ: أَعَانَهُ وَقَوَّاهُ وَأَيَّدَهُ. وَتَسَانَدَ النَّاسُ: تَعَانُوا؛ سَاعَدَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً».[2]

بالتمعُّن في الحمولة الدلالية التي أفرزها المدخل القاموسي (س ن د) نجد أنَّ لفظة التساند في الاستعمال الوضعي تحمل معنى التَّضام، والاعتماد، والتعاون، والتقوية، والتعاضد، ممَّا يعني أنَّ تحقيق التساند رهين بانضمام شيء إلى شيء آخر على سبيل الاحتياج.

وتنويراً لهذا الاستنباط نُورِدُ ما جاء في سورة القَصَصِ، عندما أحسَّ موسى -عليه السَّلام- بضعف بيانه بسبب عقدة لسانه؛ حيث طلب من الله المُعين أن يقويه ويعينه بأخيه هارون -عليه السلام- فقال: ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِي رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِئَايَاتِنَآ أَنْتُمَا وَمَنْ اِتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ**﴾ [القصص:35]. جاء في التفسير: (سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ) أي: «سَنُقَوِّيكَ بِهِ وَنُعِينُكَ».[3]

ب. اِصْطِلَاحاً

لكي نعطي للتساند تعريفا اصطلاحيا ينبغي أن نضعه في حيثية تلائم سياق البحث، وبما أنَّ سياق البحث سياق تأويلي جاز تركيب التساند مع التأويل تركيبا وصفيا؛ وأعني: (التساند التأويلي)، وهو مصطلح ينتمي إلى الجهاز المفاهيمي لنظرية (التأويلية البليغة) لصاحبها الباحث

"محمد بازي"، وهذا الأخير يقصد بالتساند التأويلي: «تَبَادُلُ الْعَوْنِ وَالمُسَانَدَةِ فِي عَمَلِيَّةِ بُلُوغِ الْمَعْنَى بَيْنَ الْعَنَاصِرِ الْمُعْتَمَدَةِ فِي الْفَهْمِ، فَالْلُغَةُ مَثَلاً تَسْنُدُ التَّخْرِيجَ النَّحْوِيَّ أَوْ الْبَلَاغِيَّ، وَالاِشْتِقَاقُ يَسْنُدُ الْلُّغَةَ وَالنَّحْوَ،وَالنُّصُوصُ الْمُوَازِيَةُ تَسْنُدُ الدَّلاَلَةَ، وَالْمَثَلُ يَدْعُمُ المَعْنَى...،إِنَّهُ تَسَانُدٌ يَتَأَسَّسُ لَحْظَةَ الاِشْتِغَالِ بِالتَّأْوِيلِ بَيْنَ الدَّوَائِرِ النَّصِّيَّةِ وَالدَّوَائِرِ السِّيَاقِيَّةِ».[4] وسنتعرض للحديث عن هذا في مظانه إن شاء الله تعالى.

2) مَفْهُومُ مَدَاخِلِ التَّأْوِيلِ

أ. وَضْعاً:

إنَّ (مداخل التأويل) مصطلح مركب من جزأين؛ من مضاف ومضاف إليه، وغاية الكشف عن الماهية اللغوية والاصطلاحية تقتضي الإعجام عن مفهوم كل جزء على حدة، انطلاقا من أنَّ تعريف المركب يتوقف على تعريف مفرداته ضرورة توقف معرفة الكل على معرفة أجزائه، وهذا ينطبق على مصطلح (خطاب التقديم) أيضا. وفيما يلي تفصيل وبيان:

المداخل في معناه القاموسي اسم مشتق من الجذر اللغوي (د خ ل)، «وَالدَّالُ وَالْخَاءُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ مُطَّرِدٌ مُنْقَاسٌ، وَهُوَ الْوُلُوجُ. يُقَالُ: دَخَلَ يَدْخُلُ دُخُولاً».[5] «وَالْمَدْخَلُ: الدُّخُولُ وَمَوْضِعُهُ. جَمْعُ مَدَاخِلِ. وَيُقَالُ: حَسُنَ الْمَدْخَلِ: حَسُنَ الْمَذْهَبِ فِي أُمُورِهِ. وَيُقَالُ: "إِنَّ مِنَ النِّفَاقِ اِخْتِلَافَ الْمَدْخَلِ وَالْمَخْرَجِ" أَيْ: سُوءُ الطَّرِيقَةِ وَسُوءُ السِّيرَةِ. وَالدَّاخِلُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ: بَاطِنُهُ. وَالدَّخَلُ مِنَ الرِّيشِ: مَا دَخَلَ بَيْنَ ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ. وَالدَّاخِلَةُ مِنَ الْأَرْضِ: غَامِضُهَا».[6]

وأمَّا التَّأويل فمصدر على وزن تفعيل، وهو في وضع اللغة مشتق من المادة القاموسية (أ و ل)، و(أ و ل) تأتي في الاستعمال الوضعي لدلالات شتَّى، وأهمها دلالة الرُّجوع؛ إذ تعتبر هي الدلالة المحورية للتأويل وما سواها فروع عنها وتبع لها؛ «فَالْأَوْلُ هُوَ الرُّجُوعُ، مِنْ آلَ الشَّيْءُ يَؤُولُ أَوْلًا وَمَآلاً أَيْ: رَجَعَ. وَآلَ الشَّيْءُ يَؤُولُ إِلَى كَذَا أَيْ: رَجَعَ وَصَارَ إِلَيْهِ».[7]

ب. اِصْطِلَاحاً

للتأويل من حيث الاصطلاح عدة تعريفات مختلفة، وإنَّما اختلفت لاختلاف مصادر الاهتمام وتباين ميادين الاشتغال؛ إذ التأويل أركيولوجيا (Archaeology) مصطلح أثير قديم جذوره ضاربة في أعماق التاريخ الفكر الإنساني، سواء في الثقافة الغربية أو الثقافة العربية الإسلامية، وهذا ما أبدته مؤلفات الفلاسفة، والمتصوفة، والفقهاء، والمفسرين، والنقاد، واللغويين وغيرهم. بيد أنَه لا يدخل في غرض هذه الأوراق البحثية الإحاطة بكافة التعريفات؛ فهي أكثر من أن تحصى، وإنَّما نذكر منها ما يلائم موضوع البحث، ومن ذلك:

- يعرفه "ابن رشد " (ت595ه): «التَّأْوِيلُ هُوَّ إِخْرَاجُ دَلاَلَةِ اللَّفْظِ مِنَ الدَّلاَلَةِ الْحَقِيقِيَّةِ إِلَى الدَّلاَلَةِ الْمَجَازِيَّةِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُخِلَّ ذَلِكَ بِعَادَةِ لِسَانِ الْعَرَبِ فِي التَّجَوُّزِ مِنْ تَسْمِيَّةِ الشَّيْءِ بِشَبِيهِهِ أَوْ سَبَبِهِ أَوْ لَاحِقِهِ أَوْ مُقَارِنِهِ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ الأَشْيَاءِ الَّتِي عُدِّدَتْ فِي تَعْرِيفِ أَصْنَافِ الْكَلَامِ الْمَجَازِيّ».[8]

- يعرفه "ابن الجوزي" (ت656ه): «التَّأْوِيلُ صَرْفُ الْلَّفْظِ عَنِ اْلِاحْتِمَالِ الرَّاجِحِ إِلَى اْلِاحْتِمَالِ الْمَرْجُوحِ لِاعْتِضَادِهِ بِدَلِيلٍ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مُرَادَ الْمُتَكَلِّمِ بِكَلَامِهِ ذَلِكَ اْلِاحْتِمَالُ الْمَرْجُوحُ».[9]

- يعرفه "ابن منظور" (ت711ه): «التَّأْوِيلُ نَقْلُ ظَاهِرِ الْلَّفْظِ عَنْ وَضْعِهِ اْلأَصْلِي إِلَى مَا يَحْتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ لَوْلاَهُ مَا تُرِكَ ظَاهِرُ الْلَّفْظِ».[10]

- يعرفه "محمد بازي": «التَّأْوِيلُ هُوَّ كُلُّ اِشْتِغَالٍ بِالْفَهْمِ يَرُومُ بُلُوغَ الْمَعْنَى اْلأَصْلِ وَالْمُرَادِ وَالْمَقْبُولِ الَّذِي يُعْتَقَدُ صَوَابُهُ، اِسْتِنَاداً إِلَى آَلِيَاتٍ وَمَسَالِكَ تَمُدُّهُ بِهَا بَلَاغَةُ التَّأْوِيلِ».[11]

تقودنا القراءة المتأنية للتعريفات السابقة إلى الخروج بالنتائج التالية:

- إنَّ المؤوّل في نشاطه التأويلي مُطالَبٌ باحترام فقه اللغة العربية، وسنن العرب في كلامها إنْ حقيقةً وإنْ مجازاً.

- إنَّ فعل التأويل ليس فعلا حرا؛ بل هو مشروط بوجود دليل يمنح المؤوّل مشروعية استخدامه.

- تكاد جل التعريفات تتفق -تصريحا أو تلويحا- على أنَّ التأويل إنَّما هو إوالية يتم بمقتضاها تجاوز الدلالة السطحية للخطاب، والتوغل داخل أعطافه بغية تحصيل القصد أو الفهم الذي قصده وأراده مُنتج الخطاب.

- إنَّ الممارسة التأويلية ممارسة مُمنهجة، ومُجَهَّزَةٌ بآليات وأدوات قرائية تنتمي إلى المقاربة أو النظرية التي احتوت التأويل نشاطا قرائيا (التأويلية البليغة "لمحمد بازي" رافدا).

- إذا أمعن القارئ المتأمل نظره فيما سبق ليجد أنَّ هناك علاقة معنوية ضمنية بين المتضايفين (مداخل-التأويل)؛ فالحمولة الدلالية التي أسفر عنها المدخل القاموسي (د خ ل) متضمنة ظلالها في المفهوم الاصطلاحي للتأويل، وغرضنا من هذا التقريب الدِّلالي التوكيد على أنَّ النسبة الإضافية قوية في الملابسة، والصلة بين المتضايفين وثيقة في المعنى،[12] وهذا ممَّا لا مرية فيه أمتنُ الأسس في تشكيل المصطلح، وفيما يلي فضل بيان:

فأمَّا دلالة الطريقة والمذهب؛ فلأنَّ المؤوّل عند مباشرته عملية التأويل يتخذ لنفسه طريقة تكون بمنزلة خارطة تؤطر مسار نشاطه التأويلي؛ ذلك أنَّ التأويل ليس نشاطا حرًّا مطلقا

في الاستعمال؛ «بَلْ هُوَ رَسْمٌ لِخَارِطَةِ تَتَحَكَّمُ فِيهَا الْفَرَضِيَاتُ الْخَاصَّةُ بِالْقِرَاءَةِ، وَهْيَ فَرَضِيَاتٌ تُسْقِطُ -اِنْطِلَاقاً مِنْ مُعْطِيَاتِ النَّصِّ- مَسِيرَاتٍ تَأْوِيلِيَّةً تَطْمَئِنُّ إِلَيْهَا الذَّاتُ الْمُتَلَقِيَّةُ».[13] وهو في كل ذلك يرفع لواء مذهب كان قد تبنَّى أصوله، وسار على نهج تأويله (الزمخشري المعتزلي مثالا).

وأمّا دلالة الباطن فلأنَّ من وظائف التأويل الأساسية تجاوز الدلالة الظاهرة للخطاب سعيا إلى الظفر بالدلالة الباطنية، وقد قيل: «التَّأْوِيلُ هُوَ الطَّرِيقَةُ الْمُؤَدِّيَةُ إِلَى رَفْعِ التَّنَاقُضِ بَيْنَ ظَاهِرِ الأَقَاوِيلِ وَبَاطِنِهَا».[14]

وأمَّا دلالة بَيْنِيَّةِ التأويل أي؛ بين الظاهر والباطن، فهي إيتيمولوجيا (Etymology) تذكرنا بميلاد التأويل عند الإغريق؛ "فهُرْمُسْ" الذي أُشتق منه مصطلح الهرمنيوطيقا (Hermenutics) أي؛ فن الفهم والتأويل كان وسيطا بين الآلهة والبشر؛ فهو رسول الآلهة ينقل لغتهم ومقاصدهم إلى أهل الفناء من بني البشر بُغية تحقيق الفهم،[15] وكذلك حال المؤوّل؛ فهو وسيط تأويلي إفهامي بين الخطاب (موضوع التأويل) والقارئ (الطالب للفهم)؛ ففي حقيقة الأمر «قَدْ صُمِّمَتِ الْمَنَاهِجُ التَّأْوِيلِيَّةُ لِكَيْ تُمكِّنَ النَّصَّ مِنْ أَنْ يُؤْتَى كَنْزَهُ، غَيْرَ أَنَّ الْمُؤَوِّلَ يُرْشِدُ الْقَارِئَ إِلَى الْكَنْزِ ثُمَّ يَنْسَحِبُ. إِنَّ الْمُؤَوِّلَ مُجَرَّدُ مُوَجِّهٍ، وَهُوَ بِوَصْفِهِ مُوَجِّهاً يَبْقَى صُورَةً هَامِشِيَّةً، يَبْقَى خَارِجِيّاً، مُحَرِّضاً فَحَسْب».[16]

وأمَّا دلالة الغُموض فلأنَّ من أغراض التأويل نقل دلالة العبارة من مقام الغموض والإبهام إلى مقام الوضوح والإفهام، وقد قيل: «التَّأْوِيلُ حَرَكَةُ عُبُورٍ وَانْتِقَالٍ مِنَ الْغَامِضِ إِلَى الْجَلِيِّ الْوَاضِحِ».[17] وما يجعل اللغة موضوعا للتأويل هو ما تتميز به من مظاهر الغموض والالتباس كالسراب تماما ومن معاني التأويل اللغوية (الآلُ): السَّرَابُ.[18] فيُمسي القارئ ضالا في غياهب المعاني، تائها بين مشتبهات المقاصد، تعتوره الظنون، وتراوده عوارض الشك والارتياب، فيُؤْتَى بالتأويل فاتحا مغاليق المعاني، كاشفا حُجُب المرامي، رادًّا بالقارئ إلى الدلالة المقصودة، ليتحقق المعنى الوظيفي (الإجرائي) للتأويل وهو: الردُّ، «يُقَالُ فِي الدُّعَاءِ لِلْمُضِلِّ: أَوَّلَ اللهُ عَلَيْكَ أَيْ؛ رَدَّ عَلَيْكَ ضَالَّتَكَ وَجَمَعَهَا لَكَ».[19] وهذا التقريب ينسجم دلاليا مع العنوان الذي وسم به "شرف الدين الطِّيبي" كتابه الشارح: "فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب".

هذا، وعندما نقوم بتجميع ما تم عرضه من دلالات وضعية ومفاهيم اصطلاحية، ومحاولة التنسيق بينها قصد رصفها في بنية مفاهيمية واحدة، يمكن القول: إنَّ مداخل التأويل هي حُزمة[20] من المنطلقات القرائية، والمسالك الاستدلالية، تتخذها الذات الشارحة (المؤوّلة)

عند شروعها في عملية التأويل قنواتٍ تأويلية، تَتَغيَّا من خلالها سبر أغوار الخطاب؛ بغية الإمساك بالقصد المفضي إلى الفهم.

3) مَفْهُومُ خِطَابِ التَّقْدِيم

أ. وَضْعاً

جاء في مقاييس اللغة تحت كتاب الخاء: «اَلْخَاءُ وَالطَّاءُ وَالْبَاءُ أَصْلَانِ: أَحَدَهُمَا [وَهْوَ الْمَقْصُودُ] اَلْكَلَامُ بَيْنَ اِثْنَيْنِ: يُقَالُ خَاطَبَهُ يُخَاطِبُهُ خِطَاباً».[21] «وَالْخِطَابُ: اَلْكَلَامُ. وَتَخَاطَبَا: تَكَالَمَا وَتَحَادَثَا. وَخَاطَبَهُ مُخَاطَبَةً وَخِطَاباً: كَالَمَهُ وَحَادَثَهُ. وَخَاطَبَهُ: وَجَّهَ إِلَيْهِ كَلَاماً».[22]

وأمَّا التَّقديم فهو مصدر من الفعل الثلاثي مضعف العين (قَدَّمَ) أي؛ قدَّم يُقدِّم تقديمًا. «وَالْمُقَدِّمَةُ مَا اِسْتَقْبَلَكَ مِنْ الْجَبْهَةِ وَالْجَبِينِ. وَقِيلَ: مُقَدِّمَةُ كُلُّ شَيْءٍ أَوَّلُهُ. وَمُقَدِّمَةُ الْجَيْشِ (بِكَسْرِ الدَّالِ) أَوَّلُهُ الَّذِينَ يَتَقَدَّمُونَ الْجَيْشَ، وَقَدْ اُسْتُعِيرَ لِكُلِّ شَيْءٍ فَقِيلَ: مُقدِّمَةُ الْكِتَابِ».[23]

ومقدمة الكتاب هي عين خطاب التقديم (موضوع المقاربة)، ويطلق عليها عند القدامى خُطبة الكتاب.[24] وهي في عُرفهم: «طَائِفَةٌ مِنَ الأَلْفَاظِ قُدِّمَتْ أَمَامَ الْمَقْصُودِ لِدَلاَلَتِهَا عَلَى مَا يَنْفَعُ فِي تَحْصِيلِ الْمَقْصُودِ».[25]

ب. اِصْطِلَاحاً

يعد الخطاب (Discourse) مصطلحا شائعا في عدة علوم كالفلسفة، والتاريخ، والاجتماع والأدب، والنقد، وتحديدا في الدراسات اللسانية الحديثة؛ فمع أفول نجم البنيوية التي حصرت مجال تحليلها اللساني في الجملة، وبروز لسانيات الخطاب التي أولت الخطاب عناية كبيرة من خلال انفتاحها على السياق الظرفي في التواصل اللغوي، أضحى الخطاب من أهم المقولات التي تبوَّأت مكانة مركزية في البحوث اللسانية والنصية الحديثة، فظهر مجال تحليل الخطاب (Discourse analysis) تتويجا لذلك المنجز.

وعلى الرغم من ذلك فإنَّه «لاَ يُوجَدُ مَعْنًى وَاحِدٌ لِكَلِمَةِ خِطَاب حَتَّى لَوْ أَخَذَهَا الْمَرْءُ بِمَفْهُومِهَا الْفنِّي الضَّيِّقِ».[26] إلاَّ أنَّنا هنا سنعتمد على بعض التعريفات التي نراها تلائم سياق البحث، فمن ذلك نذكر ما يلي:

- يعرفه أحمد المتوكل: «يُعَدُّ خِطَاباً كُلُّ مَلْفُوظٍ/مَكْتُوبٍ يُشَكِّلُ وِحْدَةً تَوَاصُلِيَّةً قَائِمَةَ الذَّاتِ».[27]

- يعرفه طه عبد الرحمان: «حَدُّ الْخِطَابِ أَنَّهُ كُلُّ مَنْطُوقٍ بِهِ مُوَجَّهٌ إِلَى الْغَيْرِ بِغَرَضِ إِفْهَامِهِ مَقْصُوداً مَخْصُوصاً».[28]

- يعرفه محمد بازي: «اَلْخِطَابُ -بِمَعْنَى مُوَسَّعٍ وَمَرِنٍ-: هُوَ مَجْمُوعُ الْمَقَاصِدِ الظَّاهِرَةِ وَالْخَفِيَّةِ؛ الْمَعَانِي الأُوَلِ وَالثَّوَانِي، الرَّسَائِلِ الْمَبَاشِرَةِ وَالْمُضْمَرَةِ، الْمَغَازِي الَّتِي يَحْمِلُهَا النَّصُّ مُتَوَجِّهاً بِهَا إِلَى مَنْ هُوَ مَتَهَيِّئٌ لِفَهْمِهَا. وَالْخِطَابُ مِنْ مَنْظُورٍ تَأْوِيلِيٍّ: هُوَ مَجْمُوعُ الْمَعَانِي النَّصِّيَّةِ الْمَفْهُومَةِ وَالْمُؤَوَّلَةِ الْمُعَبَّرِ عَنْهَا بِوَسَائِلَ أُسْلُوبِيَّةٍ وَبَلَاغِيَّةٍ سَمَحَتْ بِتَحَقُّقِهِ إِنْجَازاً وَتَلَقِّيًّا».[29]

من خلال هذه التعريفات الاصطلاحية، وتأسيسا على ما عفا عنه القول من دلالات معجمية يمكن أن نعرف خطاب التقديم فنقول: هو جنس خطابي تواصلي يتألف من طائفة من الألفاظ الدَّالة ذات معانٍ ظاهرة ومُؤَوَّلة، يستهل بها المخاطِب (متكلم/كاتب) نتاجه اللغوي (كتابا مقالا...) على سبيل التَّوجُّه والتَّوجيه، والإفهام والتَّفهيم؛ تقريبا للقصد، وتبيينا للغرض وتوضيحا للمنهج.

ثَانِيًا: الْمِنْوَالُ الإِجْرَائِيُّ

إنَّ الخطاب الذي نصبو إلى مقاربته إجرائيا في هذا البحث هو الخطاب التقديمي "لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري" في تفسيره الجليل المسمَّى بـ(الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل)، من خلال شرح "شرف الدين الطيبي" الموسوم بـ: (فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب).

وإنَّ الذي يجعل الخطاب التقديمي للكشاف موضوعا للقراءة والتأويل هو كونه «خِطَاباً مُتَشَابِهَ الْآيَاتِ، مُتَشَابِكَ الدَّلَالَاتِ، مُتَعَدِّدَ الْمُسْتَوَيَاتِ، مُتَرَاكِبَ الطَّبَقَاتِ، وَحْدَهُ مِثْلَ هَذَا [الْخِطَابِ] يُتِيحُ إِمْكَانَ الْقِرَاءَةِ الْحَيَّةِ الْكَاشِفَةِ».[30] ومثل هذا الخطاب «يَحْتَاجُ إِلَى [خِطَابٍ] أَخَرَ لِإِيضَاحِ مَا غَمَضَ مِنْهُ، أَوْ تَفْصِيلِ مَا أَجْمَلَ، أَوْ تَحْرِيرِ مَا اِخْتَلَطَ، أَوْ فَكِّ مَا اِسْتَغْلَقَ، أَوْ تَأْوِيلِ مَا اِشْتَبَهَ».[31] وقد أشار إلى هذا "شرف الدين الطيبي" في مقدمة شرحه قائلا: «فَقَدِ اسْتَخَرْتُ اللهَ -مَعَ قِلَّةِ الْبِضَاعَةِ، وَقُصُورِ الْبَاعِ فِي الصِّنَاعَةِ- لِتَصَدِّي شَرْحِ مُجْمَلِهِ، وَحَلِّ مُعْضِلِهِ، وَتَلْخِيصِ مُشْكِلِهِ وَتَخْلِيصِ مُبْهَمِهِ، وَفَسْرِ عَوِيصِهِ، وَفَكِّ عُقُودِهِ الْمُوَرَّبَةِ، وَتَبَيُّنِ قُيُودِهِ الْمُكَرَّبَةِ».[32]

هذا، وقد توصلنا سابقا على سبيل النُّقَاوَة والتركيب إلى أنَّ مداخل التأويل، إنَّما هي حزمة من المنطلقات القرائية والمسالك الاستدلالية تتخذها الذات الشارحة (المؤوِّلة) عند

شروعها في عملية التأويل قنواتٍ تأويلية، تَتَغيَّا من خلالها سبر أغوار الخطاب، بغية الإمساك بالقصد المفضي إلى الفهم.

وما تلك المنطلقات في الأصل إلاَّ «مُشِيرَاتٌ نَصِّيَّةٌ تُوَجِّهُ الاِفْتِرَاضَ وَالْفَهْمَ ثُمَّ التَّخْرِيجَاتِ التَّأْوِيلِيَّةَ، وَعِنْدَمَا لَا تَفِي هَذِهِ الْمُسْتَوَيَاتُ النَّصِّيَّةُ بِالْغَرَضِ، وَيَشْعُرُ الْقَارِئُ -شَارِحاً كَانَ أَمْ مُؤَوِّلاً- أَنَّ مَا بَنَاهُ مِنْ مَعَانٍ لاَ يُوصِلُ إِلَى بِنَاءِ الْمَعْنَى الْمَقْبُولِ أَوْ الْفَهْمِ التَّامِ، فَإِنَّهُ يَسْتَعِينُ بِالْأَخْبَارِ وَالنُّصُوصِ الْمُوَازِيَةِ وَالرِّوَايَاتِ، وَكُلِّ مَا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُضِيءَ مَا هُوَ مُعْتَمٌّ أَوْ غَامِضٌ».[33]

وبما أنَّ شرح "شرف الدين الطِّيبي" يعتبر خطابا تأويليّاً، «فَإِنَّ دَاخِلَ الْخِطَابِ التَّأْوِيلِيِّ تُوجَدُ حَرَكَةٌ تَسَانُدِيَّةٌ دَائِبَةً؛ فَاللُّغَةُ تَعْمَلُ فِي تَعَاوُنٍ مَعَ النَّحْوِ وَالْبَلَاغَةِ، وَيَعْمَلُ الاِشْتِقَاقُ إِلَى جَنْبِ اللُّغَةِ وَالنَّحْوِ وَالبَلَاغَةِ. وَتَحْضُرُ الْقِرَاءَاتُ لِتَسْنُدَ دَلاَلَةً نَحْوِيَّةً أَوْ لُغَوِيَّةً، وَتَعْبُرُ النُّصُوصُ الْقُرْآنِيَّةُ وَالْحَدِيثِيَّةُ، وَالشِّعْرِيَّةُ إِلَى الْقِرَاءَةِ التَّأْوِيلِيَّةِ لِتُسَانِدَ تَخْرِيجاً دَلاَلِيّاً. وَفِي أَحْيَانٍ أُخْرَى تُطَعِّمُ أَسْبَابَ النُّزُولِ وَالْأَخْبَارِ الْمَعْنَى».[34] لهذا، فمداخل التأويل تبعا لما قيل تنقسم إلى قسمين: مداخل تأويلية مساقية (نصية)، ومداخل تأويلية سياقية (ميتا-نصية).

1) مَدَاخِلُ تَأْوِيلِيَّةٌ مَسَاقِيَّةٌ (نَصِّيَّةٌ)

المداخل التأويلية المساقية هي مداخل نصية لغوية تشتغل على مستوى المساق أي؛ على مستوى البنية اللسانية للعبارة موضوع التأويل. والعامل اللغوي عامل أساسي في عملية الفهم والتأويل؛ لأنَّ اللغة هي العالم الذي يحدث فيه ومن خلاله الفهم.[35]

وتتكون المداخل المساقية (النَّصية) من عدة مداخل، نذكر منها ما توضحه الخطاطة التالية:

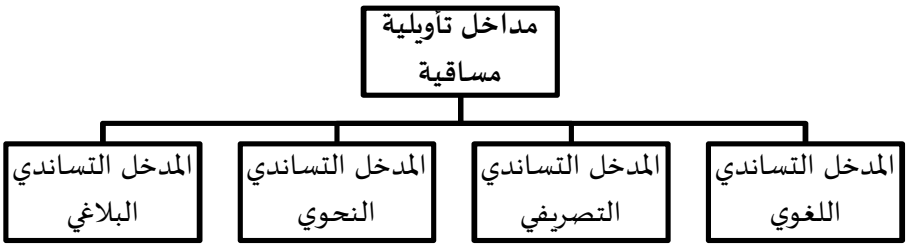

(خطاطة توضح بعض مداخل التأويل المساقية -النصية-)

أ. الْمَدْخَلُ التَّسَانُدِيُّ اللُّغَوِيُّ

المدخل التساندي اللغوي هو مدخل معجمي «مَوْضُوعُهُ الْعِلْمُ بِالْكَلِمِ الْمُفْرَدَةِ»[36]، فعملية شرح الأقوال وتأويلها تتخذ غالبا شكلا دائريا؛ إذ تنطلق من فهم الكل وصولا إلى فهم الجزء، ثمَّ ترتد بالعكس أي؛ البدء من كشف دلالة الألفاظ مُفردةً وصولا إلى الدلالة الكلية، وهذه طريقة هرمنيوطيقية في التأويل، تُمكِّن المؤوِّل من تحقيق الفهم اللغوي.[37] و"شرف الدين الطِّيبي" لم يكن ليخفى عنه ذلك في تأويله؛ فهو يقول في مقدمة شرحه: «[هَذَا] ذِكْرُ مَا يَحْتَاجُ إِلَى الْكَشْفِ مِنْ غَرَائِبِ الْخُطْبَةِ وَنُكَتِهَا، إِجْمَالاً وَتَفْصِيلاً».[38]

وعلى كلٍّ، فالمؤوِّل في هذا المدخل التأويلي يستند على كفاءته المعجمية؛ فكلما كان متبحرا في لغة العرب، فقيها بأسرارها، عالما بدلالة مفرداتها وضعا، خبيرا بمقاصدها استعمالا كان ذلك أحوط في الإحاطة بالمعنى المقصود، «فَالْلَفْظَةُ الْوَاحِدَةُ دَاخِلَ نَسَقِ الْخِطَابِ قَدْ تَدُلُّ عَلَى مَعَانٍ كَثِيرَةٍ فِي الاِسْتِعْمَالِ، يَخْتَارُ مِنْهَا الْمُؤَوِّلُ مَا يُنَاسِبُ الْخِطَابَ وَمَقْصِدِيَتَهُ».[39]

ومن يتأمل شرح فتوح الغيب سيجد أنَّ المدخل اللغوي هو أول عتبة يستعملها "شرف الدِّين الطِّيبي" في عملية التأويل، مستعينا في ذلك بعدة مصادر معجمية، كتاج اللغة وصحاح العربية "للجوهري" (ت393هـ)، وأساس البلاغة "لجار الله الزمخشري" والمجمل في اللغة "لأحمد بن فارس" (ت395 هـ)، وفيما يلي إيضاح وبيان:

يقول "الزمخشري": «اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَنْزَلَ الْقُرْآنَ كَلَاماً مُؤَلَّفاً مُنَظَّماً، وَنَزَّلَهُ بِحَسْبِ الْمَصَالِحِ مُنَجَّمًا».[40]

يقول "شرف الدِّين الطِّيبي": «اَلْحَمْدُ نَقِيضُ الذَّمِّ، وَهُوَ أَعَمُّ مِنَ الشُّكْرِ. وَحَمِدْتُ اللهَ وَمَجَّدْتُهُ، وَأَحْمَدَ الرَّجُلُ: جَاءَ بِمَا يُحْمَدُ عَلَيْهِ، ضِدُّ أَذَمَّ. وَأَنْزَلَ: نَزَلَ بِالْمَكَانِ، وَنَزَلَ مِنْ عُلُوٍّ إِلَى سُفْلٍ، وَأَنْزَلَ الْكِتَابَ وَنَزَّلَهُ. وَمِنَ الْمَجَازِ: نَزَلَ بِهِ مَكْرُوهٌ، وَأَنْزَلْتُ حَاجَتِي عَلَى كَرِيمٍ (...) وَيُقَالُ: نَزَلْتُ رِسَالَةُ الْأَمِيرِ مِنَ الْقَصْرِ، وَإِنَّمَا نَزَلَ الْمُسْتَمِعُ بِهَا وَأَدَّاهَا إِلَى النَّاسِ، وَقَوْلُ الْأَمِيرِ لاَ يُفَارِقُ ذَاتَهُ. وَلَعَلَ نُزُولَ الْكُتُبِ الإِلَهِيَّةِ عَلَى الرُّسُلِ عَلَيْهِمْ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِأَنْ يَتَلَقَّفَهُ الْمَلَكُ مِنَ اللهِ تَعَالَى تَلَقُّفاً رُوحَانِيًّا، أَوْ يَحْفَظَهُ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، فَيَنْزِلَ بِهِ إِلَى الرَّسُولِ -صلى الله عليه وسلم- وَيُلَقِّنَهُ. الْقُرْآنُ: لُغَةً الْجَمْعُ تَقُولُ قَرَأْتُ الشَّيْءَ قُرْآناً، إِذَا جَمَعْتُهُ وَضَمَمْتُ بَعْضَهُ إِلَى بَعْضٍ. وَسُمِيَّ قُرْآناً لِأَنَّهُ يَجْمَعُ السُّوَرَ فَيَضُمُّهَا. بِحَسْبِ: قَوْلُهُمْ: لِيَكُنْ عَمَلُكَ بِحَسْبِ ذَلِكَ، أَيْ: عَلَى قَدْرِهِ وَعَدَدِهِ. وَالْمَعْنَى [القصد]: فَرَّقَهُ بِقَدْرِ مَا تَقْتَضِيهِ الْأُمُورُ السَّانِحَةُ وَالْحَوَادِثُ الْمُتَجَدِّدَةُ. مُنَجَّماً: أَيْ: دُفْعَةً بَعْدَ دُفْعَةٍ، حَظًّا غِبَّ حَظٍّ، مُوَزَّعاً عَلَى الْأَوْقَاتِ. وَأَصْلُهُ مِنْ نُجُومِ الأَنْوَاءِ. وَالنَّجْمُ هَوَ الطَّالِعُ، ثُمَّ سُمِّيَ بِهِ الْوَقْتُ».[41]

من يتمعن في تأويل "شرف الدِّين الطِّيبي" سيلاحظ أنَّه استعمل آليات تأويلية دلالية مختلفة في شرح المفردات؛ فإنَّك تراه يشرح الكلمة بنقيضها أو بضدِّها كما في كلمة (الحمد)، أو بمقابلة معناها الحقيقي بالمعنى المجازي كمل في كلمة (نزل)، أو بمرادفها كما في كلمة (القرآن)، أو بالتمثيل والتَّسييق (المساق) كما في شرح كلمة (بحسب)، أو بتأثيلها وإرجاعها إلى أصلها كما في كلمة (مُنَجَّماً)، ومعنى التأثيل أو التأصيل يذكرنا بوظيفة مهمة من وظائف التأويل، وهي ردُّ الشيء وإرجاعه إلى أصوله للكشف عن ماهيته.

و"الإمام الطِّيبي" في فعله التأويلي لا يتحرَّى تفسير كل المفردات المكونة للخطاب التقديمي مفردة مفردة؛ وإنَّما يشرح منها ما يراه غامضا كافيا شرحه في بيان المعنى الذي عناه العاني، مُنطلِقا في بنائه -كما أسلفنا- من تجميع المعاني الجزئية إلى تحصيل المعنى الكلي، ولك أن تستدل على هذا في شرح كلمتي: (أنزل) و(بحسب).

وكل ذلك من شأنه أن يبرز فعالية المدخل التساندي اللغوي (المعجمي) في إضاءة عملية التأويل؛ إذ به يتم الاقتراب من المعنى المقصود، إلاَّ أنَّ المدخل اللساني يتواشج مع مسلك آخر له قيمته في تأويل الخطابات وتشكيل المعاني، وهو المدخل التساندي التصريفي أو الاشتقاقي.

ب. الْمَدْخَلُ التَّسَانُدِيُّ التَّصْرِيفِيُّ

يعد المدخل التساندي التصريفي أو الاشتقاقي عتبة أساسية في النشاط التأويلي الذي يطمح إلى تحصيل الفهم؛ إذ يعد المدخل التصريفي «مَسْلَكاً فِي الْفَهْمِ يَرْتَكِزُ عَلَى تَتَبُّعِ أُصُولِ الْكَلِمَاتِ وَأَقِيسَتِهَا وَأَوْزَانِهَا، وَمَا يَرْتَبِطُ بِذَلِكَ مِنْ اِسْتِحْضَارِ مَوَادٍ لُغَوِيَّةٍ، يَخْتَارُ مِنْهَا الْمُؤَوِّلُ مَا يُنَاسِبُ الْمَسَاقَ الْكَلَامِيَّ».[42]

وبما أنَّ التصريف بحث في بنية الكلمة، فإنَّ المؤول في هذا المدخل يتفنن في إبراز المعاني الوظيفية المختلفة التي تطرأ على مشتقات الكلمة، ويدخل في هذا عدة مفاهيم: كالاشتقاق والتصغير، والمصدر، واسم الفاعل، واسم المفعول، واسم الآلة، وصيغ المبالغة، والإعلال والإبدال، والتخفيف، والتضعيف وأنواع الجمع...إلخ.[43]

ذلك، ومن يمعن النظر في تأويل "الإمام الطِّيبي" سيعثر حتما على تلكم المفاهيم التحليلية التصريفية، ولعل النموذج الآتي فيه تبيان لذلك:

يقول الزَّمخشري: «أَنْشَأَهُ كِتَاباً سَاطِعاً تِبْيَانُهُ، قَاطِعاً بُرْهَانُهُ، وَحْياً نَاطِقاً بِبَيِّنَاتٍ وَحُجَجٍ قُرْآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ، مِفْتَاحاً لِلْمَنَافِعِ الدِّينِيَّةِ وَالدِّنْيَوِيَّةِ».[44]

يقول "شرف الدّين الطِّيبي": «قَوْلُهُ: (مِفْتَاحاً) هُوَ إِمَّا اِسْمُ آلَةٍ، أَيْ: يُفْتَحُ بِهِ الْعُلُومُ الدِّينِيَّةُ فِقْهُهَا وَأُصُولُهَا، وَمَعَانِيهَا وَإِعْرَابُهَا، وَأَخْلَاقُهَا، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ. تَشْبِيهاً بِالمفَاتِيحِ فِي كَوْنِهَا وَسِيلَةً إِلَى فَتْحِ المخَازِنِ الْمُسْتَوثَقِ عَلَيْهَا (...)، أَوْ اِسْمُ فَاعِلٍ مِنَ الْفَتْحِ، كَمِضْرَابٍ مِنَ الضَّرْبِ لِلْمُبَالَغَةِ».[45]

عندما نمعن النظر في خطاب "الإمام الطِّيبي" يتبيَّن أنَّه يعتمد على المدخل التصريفي في تبيين الصيغ المحتملة للفظة (مِفْتَاحاً)؛ إذ يرى أنَّها إمَّا اسم آلة حملا لها بضرب من الشبه والتقريب على آلة المفتاح، وإمَّا اسم فاعل دال على المبالغة. ولفظة (مِفْتَاح) صرفيا على وزن مِفْعَال، ومِفْعَال صيغة مُشتركة بين المبالغة واسم الآلة، والقرائن وحدها هي التي تعين المؤول على تعيين المقصود من بينهما.[46] والظاهر أنَّ "شرف الدّين الطِّيبي" في هذه الحالة التأويلية يذهب إلى جواز الأمرين وهذا أمر مُبرر؛ تسوغه حالات التعدد الدلالي وتباين وجوه التأويل؛ حيث يترك الشارح الأمور في بعض المواضع التأويلية لمنطق الجواز.[47]

ج. الْمَدْخَلُ التَّسَانُدِيُّ النَّحْوِيُّ

إذا كان المدخل التساندي التصريفي الاشتقاقي يشتغل على مستوى بنية الكلمة المفردة بتبيين المعنى الاشتقاقي، فإنَّ المدخل التساندي النحوي جهاز تأويلي تركيبي، يشتغل على مستوى التركيب؛ إذ يعمل المؤوِّل فيه على إظهار وظيفة الكلمة داخل المساق الجُمَلِي أي؛ تحديد القيمة الموقعية (الإعرابية) للكلمة في علاقتها بما هو سابق، وما هو لاحق عليها.[48] والأمثلة عن هذا المدخل التأويلي كثيرة في شرح "شرف الدين الطِّيبي"، نذكر منها ما يلي:

يقول "الزمخشري" المعتزلي: «اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَنْزَلَ الْقُرْآنَ كَلَاماً مُؤَلَّفاً مُنَظَّماً، وَنَزَّلَهُ بِحَسْبِ الْمَصَالِحِ مُنَجَّمًا، وَجَعَلَهُ بِالتَّحْمِيدِ مُفْتَتَحاً، وَبِالْاسْتِعَاذَةِ مُخْتَتَماً، وَأَوْحَاهُ عَلَى قِسْمَيْنِ مُتَشَابِهاً وَمُحْكَماً؛ وَفَصَّلَهُ سُوَراً وَسَوَّرَهُ آيَاتٍ، وَمَيَّزَ بَيْنَهُنَّ بِفُصُولٍ وَغَايَاتٍ -وَمَا هِيَ إِلاَّ صِفَاتُ مُبْتَدِئٍ مُبْتَدِعٍ، وَسِمَاتُ مُنْشِئٍ مُخْتَرِعٍ؛ فَسُبْحَانَ مَنَ اِسْتَأْثَرَ بِالْأَوَلِيَّةِ وَالْقِدَمِ، وَوَسَمَ كُلَّ شَيْءٍ سَوَّاهُ بِالْحُدُوثِ عَنِ الْعَدَمِ- أَنْشَأَهُ كِتَاباً سَاطِعاً تِبْيَانُهُ، قَاطِعاً بُرْهَانُهُ، وَحْياً نَاطِقاً بِبَيِّنَاتٍ وَحُجَجٍ».[49]

يقول "الإمام الطِّيبي" السُّنِّي: «وَانْتِصَابُهُ [أَيْ: كَلَاماً] إِمَّا لِأَنَّهُ حَالٌ مُوَطِّئَةٌ أَوْ مُؤَكِّدَةٌ (...) وَإِمَّا لِأَنَّهُ بَدَلٌ مِنَ الْقُرْآنِ، وَهَذَا أَوْجُهُ عَلَى مَذْهَبِهِ [أَيْ: الِاعْتِزَالِ]؛ لِمَا أَنَّ الْحَالَ زِيَادَةٌ فِي فَائِدَةِ الْجُمْلَةِ وَالْبَدَلُ هُوَ المقْصُودُ فِي الإِيرَادِ، وَالْمُبْدَلُ كَالتَّوْطِئَةِ، فَيُفِيدُ التَّوْكِيدَ لِمَا فِيهِ مِنَ التَّنْبِيهِ وَالتَّكْرِيرِ وَالإِجْمَالِ وَالتَّفْصِيلِ (...)قَوْلُهُ أَنْشَأَهُ، أَيْ: خَلَقَهُ عَلَى اِعْتِقَادِهِ. وَأَنْشَأَهُ اللهُ: خَلَقَهُ. قَطَعَ الْجُمْلَةَ لِتَكُونَ بَدَلاً مِنَ جُمْلَةِ: (أَنْزَلَ) لِكَوْنِهَا أَوْفَى بِتَأْدِيَةِ المقْصُودِ مِنْهَا، فَإِنَّهُ أَجْرَى عَلَى الْقُرْآنِ أَوْصَافاً تَدُلُّ عَلَى حُدُوثِهِ كَكَوْنِهِ مُؤَلَّفاً مُنَظَّماً، وَغَيْرَ ذَلِكَ، لَكِنَّ دَلَالَتَهَا عَلَى المقْصُودِ غَيْرُ صَرِيحَةٍ،

فَصَرَّحَ بِقَوْلِهِ: (أَنْشَأَهُ) وَأَدْخَلَ بَيْنَ الْبَدَلِ وَالمُبْدَلِ قَوْلَهُ: (وَمَا هِيَ إِلاَّ صِفَاتُ مُبْتَدَأ)، إِلَى آخِرِهِ، مُعْتَرِضاً مُؤَكِّداً لما اِنْتَصَبَ لَهُ مِنْ بَيَانِ مَذْهَبِهِ».[50]

إنَّ فعاليَّة المدخل التساندي النَّحوي بارزة في تأويل "شرف الدين الطِّيبي" السُّنِّي، وتظهر فعاليته في كشف القناع عن القصد الاعتزالي -إن صحَّ التعبير- المضمر في مقدمة خطاب الكشاف "فالزمخشري" على مذهب المعتزلة الذين يقولون بخلق القرآن؛ فمن الطبيعي أن تكون أفكاره المذهبية، ومقاصده الاعتزالية مخبوءة بين طيَّات خطابه التقديمي[51]، «وَمُهِمَّةُ الْقَارِئِ أَنْ يَعْمَلَ عَلَى إِظْهَارِهَا وَتِبْيَانِهَا بِشَرْحِهَا وَإِيضَاحِهَا، أَوْ بَسْطِهَا وَتَفْصِيلِهَا أَوْ تَحْرِيرِهَا وَتَخْلِيصِهَا، أَوْ تَفْسِيرِهَا وَتَأْوِيلِهَا»[52] وهذا عين ما فعله مؤوِّلنا "شرف الدِّين الطِّيبي" في خطابه التأويلي؛ فكُتُبُ طبقات الرجال تشهد بأنَّه كان «مُتَوَاضِعاً حَسَنَ المعْتَقَدِ، شَدِيدَ الرَّدِّ عَلَى الْفَلَاسِفَةِ وَالمبْتَدِعَةِ، مُظْهِراً فَضَائِحَهُمْ؛ مَعَ اِسْتِيلَائِهِمْ حِينَئِذٍ، شَدِيدَ الْحُبِّ للهِ وَرَسُولِهِ».[53]

ومن يقلب طرفه مليا في تأويل "الإمام الطيبي" سيلاحظ أنَّ المدخل اللغوي المعجمي -والمتمثل في شرح كلمة (أنشأه)- لم يكفِ وحده في بناء المعنى المقصود، لذلك وجد المؤوِّل مفتاح الفهم بمعية المدخل النحوي، وهذا ما يبرز الوظيفية التعاضدية التساندية بين المداخل التأويلية.

د. الْمَدْخَلُ التَّسَانُدِيُّ البَلَاغِيُّ

المدخل التساندي البلاغي قناة تأويلية نصِّية، ومسلك في الفهم، موضوعه الأساليب البلاغية، وتِقَانَتُهُ (أي: صِنَاعَتُهُ) المثلث البلاغي المعروف: المعاني، والبيان، والبديع.[54]

واستحضار هذه القناة في تأويل الخطابات -ومنها خطاب المقدمات- أمر ضروري؛ «فَمِنْ دُونِهَا لَا يَسْتَطِيعُ [المؤوِّلُ] تَجَاوُزَ عَوَائِقَ الْفَهْمِ الَّتِي تَطْرَحُهَا المجَازَاتُ، وَمِنْ ثَمَّ لَا يُمْكِنُهُ أَنْ يُبَيِّنَ لِغَيْرِهِ مَا لَمْ يَسْتَطِعْ هُوَ نَفْسُهُ تَبَيُّنَهُ»[55]؛ ذلك أنَّ الأساليب البلاغية أكثر استهلاكا للتأويل لما يقع فيها من تجاوز في الدلالة، فتمسي عينُ التأويل مُوجهةً نحو المعاني الثواني لا المعاني الأول.

ومن يولي نظره شطر فتوح الغيب سيرى أنَّ "الإمام الطِّيبي" كان نِحْرِيرًا في توظيف كفاءته البلاغية؛ فهو صاحب صنعة بلاغية في المقام الأول، وكل صانع وصنعته، يقول عنه "جلال الدين السيوطي" (ت911هـ): «كَانَ عَلاَّمَةً فِي المعْقُولِ وَالْعَرَبِيَّةِ وَالمعَانِي وَالْبَيَانِ».[56] وفيما يلي خير برهان:

يقول "الزمخشري" في سياق مدح القرآن الكريم: «فَلَمْ يَتَصَدَّ لِلْإِتْيَانِ بِمَا يُوَازِيهِ أَوْ يُدَانِيهِ وَاحِدٌ مِنْ فُصَحَائِهِمْ، وَلَمْ يَنْهَضْ لِمقْدَارِ أَقْصَرَ مِنْ سَورَةٍ مِنْهُ نَاهِضٌ مِنْ بُلَغَائِهِمْ، عَلَى أَنَّهُمْ كَانُواْ أَكْثَرَ مِنْ حَصَى الْبَطْحَاءِ (...) فَمَا أَعْرَضُواْ عَنْ مُعَارَضَةِ الْحُجَةِ إِلاَّ لِعِلْمِهِمْ أَنَّ الْبَحْرَ قَدْ زَخَرَ فَطَمَّ عَلَى الْكَوَاكِبِ، وَأَنَّ الشَّمْسَ قَدَ أَشْرَقَتْ فَطَمَسَتْ نُورَ الْكَوَاكِبِ».[57]

يقول "الإمام الطِّيبي": «قَوْلُهُ: (طَمَّ)، أَيْ: غَلَبَ. جَاءَ السَّيْلُ فَطَمَّ الرَّكِيَّةَ، أَيْ: دَفَنَهَا وَسَوَّاهَا. وَكُلَّ شَيْءٍ كَثُرَ حَتَّى عَلَا وَغَلَبَ فَقَدْ طَمَّ. قَوْلُهُ: (الْكَوَاكِب)، وَهُوَ جَمْعُ كَوْكَبٍ، كَوْكَبُ الشَّيْءِ: مُعْظَمُهُ. اِسْتَعَارَ الْبَحْرَ لِلْقُرْآنِ لِغَزَارَةِ فَوَائِدِهِ وَكَثْرَةِ فَرَائِدِهِ، وَالشَّمْسَ لِظُهُورِ دَلَائِلِهِ وَسُطُوعِ بَرَاهِينِهِ وَلِبَلَاغَتِهِمْ اْلأَنْهَارَ وَالنُّجُومَ. ثُمَّ رَشَّحَ الاِسْتِعَارَاتِ الأَرْبَعَ بِالزَّخْرِ، وَالطَّمِّ، وَالإِشْرَاقِ، وَالطَّمْسِ. ثُمَّ رَاعَى بَيْنَ الْكَوْكَبَيْنِ صَنْعَةَ الْجِنَاسِ التَّامِ، وَبَيْنَ الطَّمِّ وَالطَّمْسِ الْجِنَاسَ المُذَيَّلَ، وَبَيْنَ الْقَرِينَتَيْنِ المُوَافَقَةَ فِي التَّرْصِيعِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ المسْتَعَارُ لَهُ الْبَحْرُ وَالشَّمْسُ رَسُولَ اللهِ -صلى الله عليه وسلم-، وَالْكَوَاكِبُ الْكُفَّارَ أَنْفُسَهُمْ عَلَى طَرِيقِ المشَاكَلَةِ، وَإِلاَّ فَمِنْ أَيْنَ لَهُمْ نَوْرٌ وَبَهَاءٌ، وَرَوْنَقٌ وَصَفَاءٌ، وَأَنْ تَكُونَ الاِسْتِعَارَةُ تَمْثِيلِيَّةً بِأَنْ شُبِّهَتْ حَالَةُ سُطُوعِ الآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ، وَظُهُورِ المعْجِزَاتِ النَّبَوِيَّةِ، وَاضْمِحْلَالِ تَلَقُّفَاتِهِمْ وَانْطِمَاسِ مُزَخْرَفَاتِهِمْ بِزُخُورِ الْبَحْرِ وَطَمِّهِ عَلَى الأَنْهَارِ، وَإِشْرَاقِ الشَّمْسِ وَطَمْسِهَا الأَنْوَارِ».[58]

بالتدقيق في هذا الخطاب التأويلي نجد أنَّ "الإمام الطِّيبي" انتقل في تأويله من المدخل القاموسي إلى الاعتماد على المدخل البلاغي، وهذا ظاهر من خلال توظيفه مفاهيم بلاغية: من استعارة، وترشيح، وجناس، وترصيع، ومشاكلة؛ بغية تحديد ركني الاستعارة (المشبه والمشبه به) اللذين قصدهما "الزمخشري" في خطابه التقديمي الذي بدا مراوغا، والخطاب المراوغ «يَقَعُ أَبَداً عَلَى الْحُدُودِ بَيْنَ الْكَائِنِ وَرُسُومِهِ، أَوْ بَيْنَ المعْنَى وَظِلَالِهِ، أَوْ بَيْنَ الرُّؤْيَةِ وَالْعِبَارَةِ، أَوْ بَيْنَ الْوُضُوحِ وَالْغُمُوضِ».[59] لهذا نلحظ أنَّ "الإمام الطِّيبي" في تأويله يحاول حيازة الخطاب الزمخشري من خلال محاورته ومساءلته عبر أفقه البلاغي، لاستنباط الاحتمالات الممكنة للمعنى المقصود؛ لأنَّه في مقاربتنا (التأويل التساندي) «لَا يَعْنِي تَأْوِيلُ نَصٍّ مَا إِعْطَاءُهُ مَعْنًى مُحَدَّداً، وَإِنَّمَا الْوُقُوفُ عَلَى تَعَدُّدِيَّةِ المعْنَى فِيهِ».[60]

2) مَدَاخِلُ تَأْوِيلِيَّةٌ سِيَاقِيَّةٌ (مِيتَا-نَصِّيَّةٌ)

المداخل التأويلية السياقية هي مداخل ميتا-نصية أي؛ مداخل تتجاوز حدود النسق اللساني لتنفتح على كل ما هو خارجي من معارف وأخبار، وأمثال وحِكم، وشواهد قرآنية وحديثية وشعرية وغيرها. إنَّها مداخل تشتغل أساسا على مستوى التعليل والاستدلال؛ لذلك

فهي تمثِّل دور الشاهد والمعين في فكِّ أسرار المعنى وإغناء الفهم.[61] وهذه الدراسة ستكتفي بتناول بعضها:

(خطاطة توضح بعض مداخل التأويل السياقية -لانصية-)

أ. مَدْخَلُ الاِسْتِدْلاَلِ بِالشَّاهِدِ الْقُرْآنِيِّ

لا يتمارى اثنان في أنَّ لغة القرآن الكريم أفصح لغة على الإطلاق؛ لذلك كان الاستشهاد بها في تأويل الخطابات من أهم مسالك الاستدلال التي يرتكز عليها المؤوِّل في تأويله؛ ليعضد مسألة لغوية أو نحوية أو بلاغية، أو لتحقيق معنى من المعاني.[62]

لهذا كان للشاهد القرآني حضور بيِّن في شرح "شرف الدين الطِّيبي". من ذلك استدلاله بالشاهد القرآني على مسألتين، نحوية وبلاغية:

- الاستدلال بالشاهد القرآني على مسألة نحوية

يقول "الزمخشري": «وَجَعَلَهُ بِالتَّحْمِيدِ مُفْتَتَحاً، وَبِالاِسْتِعَاذَةِ مُخْتَتَماً، وَأَوْحَاهُ عَلَى قِسْمَيْنِ مُتَشَابِهاً وَمُحْكَماً، وَفَصَّلَهُ سُوَرًا وَسَوَّرَهُ أَيَاتٍ».[63]

يقول "الإمام الطِّيبي": «سُوَرًا: جَمْعُ سَورَةٍ. وَانْتَصَبَ إِمَّا عَلَى الْحَالِ، أَوْ عَلَى تَضْمِينِ (فَصَّلَ) مَعْنَى (جَعَلَ)، أَيْ: جَعَلَ الْقُرْآنَ سُوَراً مُفَصَّلاً. وَالأَحْسَنُ أَنْ يَكُونَ تَمْيِيزاً نَحْوَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا﴾ [الْقَمَرْ:12] (...) وَهُوَ أَبْلَغُ مِنْ قَوْلِكَ: عُيُونَ الأَرْضِ».[64]

يرى "الإمام الطِّيبي" بأنَّ لفظة (سُوَرًا) في خطاب الزمخشري تحتمل أكثر من تأويل نحوي فهي إمَّا حالا، وإمَّا مفعولا به ثانيا للفعل (فصَّل)، على طريقة التضمين النحوي؛ حيث ضُمِّن الفعل (فصَّل) معنى الفعل (جعل)، فعمل عمله في التعدي إلى المفعول الثاني، غير أنَّ صاحب فتوح الغيب يذهب إلى حمل لفظة (سُوَرًا) على التمييز، ويعضد توجيهه بشاهد من القرآن الكريم يوازي الحالة -موضوع التأويل- نحويًّا، ومعيار هذا التوجيه معيار بلاغي، مُستنبَط من قوله (وهو أبلغ) وهذا ما يُجلي وظيفة التساند بين التأويل النحوي والتوجيه البلاغي.

- الاستدلال بالشاهد القرآني على مسألة بلاغية

يقول "الزمخشري": «أَنْشَأَهُ كِتَاباً سَاطِعاً تِبْيَانُهُ (...) مِصْدَاقاً لما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ».[65]

يقول "الإمام الطِّيبي": «قَوْلُهُ: (بَيْنَ يَدَيْهِ)، اِسْتِعَارَةٌ تَمْثِيلِيَّةٌ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ**﴾ [الحجرات:01]».[66]

إنَّ تحليل عبارة (بين يديه) تحليلا لغويا بنيويا محضا يُبقي فهم المؤوِّل طافيا فوق سطح العبارة، مُكتفيا بالمعنى الحرفي، فيُحال بينه وبين المعنى المقصود -وهو معنى يسكن عمق العبارة بطبيعته- لذلك ينحو "الإمام الطِّيبي" في تأويله منحى بلاغيا؛ إذ يذهب إلى أنَّ عبارة (بين يديه) في خطاب "الزمخشري" مؤلفة تأليفا مجازيا، على طريقة الاستعارة التمثيلية، عاضدا تأويله بما يضارعه من الخطاب القرآني على سبيل التساند والاستدلال.

ونجد المفسر البياني "جار الله الزمخشري" يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿**لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ**﴾: «وَحَقِيقَةُ قَوْلِهِمْ جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْ فُلَانٍ، أَنْ يَجْلِسَ بَيْنَ الجِهَتَيْنِ المسَامَتَتَيْنِ لِيَمِينِهِ وَشِمَالِهِ قَرِيباً مِنْهُ، فَسُمِّيَتْ الْجِهَتَانِ يَدَيْنِ لِكَوْنِهِمَا عَلَى سَمْتِ الْيَدَيْنِ مَعَ الْقُرْبِ مِنْهُمَا تَوَسُّعاً، كَمَا يُسَمَّى الشَّيْءُ بِاسْمِ غَيْرِهِ إِذَا جَاوَرَهُ وَدَانَاهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ، وَقَدْ جَرَتْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ هَاهُنَا عَلَى سَنَنِ ضَرْبِ المجَازِ وَهْوَ الَّذِي يُسَمِّيهِ أَهْلُ الْبَيَانِ تَمْثِيلاً».[67]

ب. مَدْخَلُ الاِسْتِدْلَالِ بِالشَّاهِدِ الْحَدِيثِيِّ

يعد الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف في الكتب الشروح من أهم آليات الاستدلال التي تستنير بها عملية القراءة والتأويل؛ لما لها من دور في تأييد تخريج، أو توضيح معنى،أو توسيع دلالة...، وإن كان حضوره أقل من الشاهد القرآني؛ فإنَّ ذلك مردَّه إلى سَعَة اطِّلاع المؤوِّل، وإلى مدى قدرته الاستدعائية، وكفاءته المعرفية.[68]

وإذا ما انتقلنا إلى شرح فتوح الغيب ألفينا "شرف الدِّين الطِّيبي" غيرَ غافل في نشاطه التأويلي عن القيمة الاستدلالية للأحاديث النبوية الشريفة، ولعل المثال الآتي يدعم ذلك:

يقول "الزمخشري" واصفا حال كبره: «قَدْ ضَاقَتْ عَلَى الْمُسْتَعْفِي الْحِيَلُ، وَعَيَّتْ بِهِ الْعِلَلُ وَرَأْيْتُنِي قَدْ أَخَذَتْ مِنِّي السِّنُّ، وَتَقَعْقَعَ الشَّنُّ، وَنَاهَزْتُ الْعَشْرَ الَّتِي سَمَّتْهَا الْعَرَبُ دَقَّاقَةَ الرِّقَابِ».[69]

من الطبيعي حينما يقرأ القارئ العادي -في مقابل القارئ النموذجي- خطاب "الزمخشري" أن تستوقف سيرورة فهمه بعض العبارات المحفوفة بالغرابة مثل: (أَخَذَتْ مِنِّي السِّنُّ)، (وَتَقَعْقَعَ الشَّنُّ)، و(نَاهَزْتُ الْعَشْرَ)، و(دَقَّاقَةَ الرِّقابِ)؛ إذ يتساءل عن القصد الذي أراده "الزمخشري" منها وفي أدبيات التلقي متى اتَّسمَ خطاب ما بالغرابة كان ذلك مؤشرا داعيا للمُساءلة والتأويل.

وعليه يُجِيبُنا "الإمام الطِّيبي" قائلا: «قَوْلُهُ: (أَخَذَتْ مِنِّي السِّنُّ)، أَيْ نَقَصَتِ الشَّيْخُوخَةُ مِنْ قِوَايْ كقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ**﴾[يس: 68]. وَحَقِيقَتُهُ: أَنَّ الْعُمُرَ اِسْتَوْفَى مِنِّيَ

حَقَّهُ فَنَبَّهَ الشَّيْخُ بِهِ عَلَى الْخَطَأ الَّذِي عَلَيْهِ النَّاسُ، فَإِنَّهُمْ يَزْعَمُونَ أَنَّ الإِمْدَادَ فِي الْعُمُرِ زِيَادَةٌ، فَقَالَ هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ نُقْصَانُ. قَوْلُهُ: (تَقَعْقَعَ)، التَّقَعْقُعُ: صَوْتُ يُبْسِ الْقِرْبَةِ، أَيْ جَفَّ جِلْدُهُ. (نَاهَزْتُ) أشرفتُ. قَوْلُهُ: (دَقَّاقَةَ الرِّقَابِ): مَثَلٌ يُضْرَبُ فِي الْهَلَاكِ. وَ(الْعَشْرُ) المشَارُ إِلَيْهِ مَا بَيْنَ السِّتِينَ إِلَى السَّبْعِينَ، رَوَى الصَّغَانِيُّ (ت605هـ) فِي كَشْفِ الْحِجَابِ عَنْ أَحَادِيثِ الشِّهَابِ فِي قِسْمِ الْحِسَانِ عَنْ "أَبِي هُرَيْرَةَ" -رضي الله عنه-: "مُعْتَرَكُ المَنَايَا مَا بَيْنَ السِّتِّينَ إِلَى السَّبْعِينَ"، وَعَنْهُ: "أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السِّتِّينَ إِلَى السَّبْعِينَ"».[70]

بالتأمل في خطاب "شرف الدِّين الطِّيبي" نلحظ أنَّه اعتمد في تأويله على المدخلين: المدخل التأويلي النصي، والمدخل التأويلي السياقي، وهذا بادٍ من خلال شرحه المعجمي، واستدلاله بالقرآن الكريم في سبيل التوصل إلى حقيقة القصد الذي عناه "الزمخشري"؛ بيد أنَّه لكي يُقوّي حصيلة تأويله أكثر، راح يستدل بحديثين شريفين في توضيحه أنَّ (العشر) المقصودة في خطاب "الزمخشري" هي (العشر) المحصورة ما بين سنّ السِّتِّينَ والسَّبعين، وأنَّ في تلك (العشر) أقرب ما يكون فيها بني آدم مُشرفاً على الهلاك والموت، على نحو ما نصَّ عليه الشاهد الحديثي.

ففي الشاهد الحديثي قوة حجاجية إقناعية استطاع "الإمام الطِّيبي" استغلالها في تأكيد محصول فهمه من جهة، وإقناع المتلقي بتأويله من جهة أخرى، وهذا راجع إلى ذخيرته الحديثية فالإمام قد ألَّف في مجال الحديث: الخلاصة في معرفة الحديث، وشرح مشكاة المصابيح "لمحمد الخطيب التبريزي" (ت502هـ).

ج. مَدْخَلُ الاسْتِدْلَالِ بِالشَّاهِدِ الشِّعْرِيِّ

لا نبالغ إذا ما قلنا إنَّ الشاهد الشعري أكثر الشواهد السماعية والنقلية ذكرا واعتمادا في الكتب الشروح؛ ذلك أنَّ الشعر خزانة الأدب ولبُّ لُباب لسان العرب، ولك أن تنظر نظرة المستدِل في مسائل نافع بن الأزرق مع ابن عبَّاس -رضي الله عنهما-. لهذا آضت الأشعار قناة تأويلية استدلالية لا غنى عنها في شرح النصوص وتأويل الخطابات، وخاصَّة إذا تعلق الأمر «بِإِظْهَارِ إِمْكَانِيَّةِ المعْنَى لُغَوِيًّا، أَوْ إِبْرَازِ وَجْهٍ بَلاغِيٍّ مِنْ خِلَالِ وَجْهٍ مُمَاثِلٍ لَهُ، أَوْ ظَاهِرَةٍ نَحْوِيَّةٍ أَوْ دِلَالِيَّةٍ».[71] ولتأكيد ذلك نورد المثال الآتي:

يقول "الزَّمخشري": «وَلَا يَغُوصُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ تِلْكَ الْحَقَائِقِ؛ إِلاَّ رَجُلٌ قَدْ بَرَعَ فِي عَلَمَيْنِ مُخْتَصَيْنِ بِالْقُرْآنِ، وَهُمَا عِلْمُ المعَانِي وَعِلْمُ الْبَيَانِ، وَتَمَهَّلَ فِي اِرْتِيَادِهِمَا آونَةً».[72]

يقول "الإمام الطِّيبي": «قَوْلُهُ: (تَمَهَّلَ)، أَيْ: سَبَقَ وَاتَّأَدَ، مِنَ الْأَلْفَاظِ المشْتَرَكَةِ، وَتَمَهَّلَ فِي الْأَمْرِ: اِتَّأَدَ فِيهِ، وَتَمَهَّلَ أَيْضاً: تَقَدَّمَ، مِنَ الْمَهَلِ بِالتَّحْرِيكِ وَهُوَ التَّقَدُّمُ. قَالَ الأَعْشَى (ت07هـ):

إِنَّ مَحِلاً وَإِنَّ مُرْتَحِلاً *** وَإِنَّ فِي السَّفَرِ إِذْ مَضَوْا مَهَلاَ

وَالمقَامُ يَحْتَمِلُ المعْنَيَيْنِ».[73]

يرى "الطِّيبي" بأنَّ لفظة (تَمَهَّل) في خطاب "الزمخشري" تمثل مؤشرا يدعو إلى التأويل؛ إذ (تَمَهَّل) من فصيلة الألفاظ المتضادة أي؛ الألفاظ التي تحمل معنيين متضادين. جاء في مقاييس اللغة: «الميمُ وَالهَاءُ وَاللَّامُ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ، يَدُلُّ أَحَدُهُمَا عَلَى تَؤُدَةٍ، تَقُولُ: مَهْلًا يَا رَجُلُ (...) قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: التَّمَهُّلُ: التَّقَدُّمُ. وَهَذَا خِلَافُ الأَوَّلِ، وَلَعَلَّهُ مِنَ الْأَضْدَادِ».[74] ولكي يغني "الإمام الطِّيبي" تأويله لم يكتفِ بالمدخل اللغوي (المعنى المعجمي) فحسب؛ بل سانده وقوَّاه بالمدخل السياقي المتمثل في البيت الشعري، ليخلص إلى أنَّ الكلام الذي سيقت فيه لفظة (تَمَهَّل) يحتمل المعنيين المتضادين، أي؛ التَّؤُدة والتَّقدُّم.

وفي هذا يقول "الشريف المرتضى"(ت436هـ): «وَلَيْسَ يَجِبُ أَنْ يُسْتَبْعَدَ حَمْلَ الْكَلَامِ عَلَى بَعْضِ مَا يَحْتَمِلُهُ إِذَا كَانَ لَهُ شَاهِدٌ مِنَ اللُّغَةِ وَكَلَامِ الْعَرَبِ؛ لِأَنَّ الْوَاجِبَ عَلَى مَنَ يَتَعَاطَى تَفْسِيرَ غَرِيبِ الْكَلَامِ وَالشِّعْرِ أَنْ يَذْكُرَ كُلَّ مَا يَحْتَمِلُهُ الْكَلَامُ مِنْ وُجُوهِ المعَانِي، فَيَجُوزُ أَنَّ المخَاطِبَ أَرَادَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مُنْفَرِداً وَلَيْسَ عَلَيْهِ الْعِلْمُ بِعَيْنِهِ، فَإِنَّ مُرَادَهُ مُغَيَّبٌ».[75]

ويرى "الإمام الطِّيبي" في ذلك براعة تأليف وبلاغة نظم، فهو يقول في خطبة كتابه: «وَعَثَرْتُ بَعْدَ طُولِ المبَاحَثَاتِ عَلَى أَنَّ مَعْرِفَةِ إِبْرَازِ النَّظْمِ هِيَ أَعْظَمُ المطَالِبِ، وَأَسْنَى المقَاصِدِ وَالمآَرِبِ، فَإِنَّهَا مِسْبَارُ البَلَاغَةِ، وَمِعْيَارُ البَرَاعَةِ؛ إِذْ بِهَا تُنْتَقَدُ الأَقَاوِيلُ، وَيُرَجَّحُ تَأْوِيلٌ عَلَى تَأْوِيلٍ».[76] وفي عبارة "الإمام الطّيبي" (والمقام يحتمل المعنيين) احتراز منه من أن يتحول التأويل إلى تقويل، وهذا من أخلاقيات التأويل، وحدٌّ من حدوده.

د. مَدْخَلُ الاِسْتِدْلَالِ بِاسْتِدْعَاءِ الأَفْهَامِ

تختلف الأفهام باختلاف الأماكن والأزمان؛ إذ تتوارد على الخطابات طبقات من القراء قد تختلف وتتباين آفاقهم حينا، وتأتلف وتتشابه حينا آخر، كل بحسب مرجعياته الفكرية، وكفاءاته الموسوعية والثقافية والمعرفية، وذلك التوافق في الآفاق على طول المحور الدياكروني (الزمني) ينتج عنه توازٍ في الأفهام، فيتشكل ما يسمى عند الهرمنيوطقيين بانصهار الآفاق (Fusion of Horizons)، وهو حصيلة تراكمات الأفهام والقراءات عبر المسار الأفقي للتأويل.[77]

ومفهوم (استدعاء الأفهام) هو نُحَاتَةُ ما قيل؛ ونعني به: أن يستحضر المؤوِّل -ذو الكفاءة الموسوعية- فهما آخر غائب يحاكي ويساند فهمه الآني لظاهرة لغوية أو نحوية أو دلالية أو

بلاغية إذ يقوم بموازاته مع الظاهرة -موضوع الفهم والتأويل- على سَمْتِ الأشباه والنظائر، مُحدثا تساندا في التأويل، وانسجاما في الفهم، فيحقق الخطاب التأويلي عندئذٍ وظيفة بين-خطابية (Inter-speech) التي نصُّها أنّه: «لَا يَكُونُ لِلْخِطَابِ مَعْنًى إِلاَّ دَاخِلَ عَالَمِ خِطَابَاتٍ أُخْرَى يَشُقُّ لِنَفْسِهِ طَرِيقاً خِلَالَهَا، وَيَجِبُ لِتَأْوِيلِ أَدْنَى خِطَابٍ رَبْطُ عَلَاقَةٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَنْوَاعٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنَ الْخِطَابَاتِ الأُخْرَى يَقَعُ التَّعْلِيقُ عَلَيْهَا أَوْ مُحَاكَاتُهَا مُحَاكَاةً سَاخِرَةً، أَوْ الِاسْتِشْهَادُ بِهَا...».[78] ولنا في شرح "الإمام الطِّيبي" على مقدمة الكشاف خير مثال:

يقول "الزمخشري" في عجز العرب عن معارضة القرآن: «وَقَدْ جَرَّدَ لَهُمْ الْحُجَّةَ أَوَّلاً وَالسَّيْفَ آخِراً، فَلَمْ يُعَارِضُواْ إِلاَّ السَّيْفَ وَحْدَهُ، عَلَى أَنَّ السَّيْفَ القَاضِبَ مِخرَاقُ لَاعِبٍ إِنْ لَمْ تُمْضِ الحُجَّةُ حَدَّهُ».[79]

يقول "الإمام الطِّيبي" (ت743هـ): «قَوْلُهُ: (عَلَى أَنَّ السَّيْفَ)، هُوَ حَالٌ مِنْ فَاعِلِ: "فَلَمْ يُعَارِضُواْ" قال الحَمَاسيُّ [أبو خِراش الهذلي]:

فَوَ اللهِ لَا أَنْسَى قَتِيلاً رَزَيْتُهُ *** بِجَانِبِ قَوْسِي مَا مَشَيْتُ عَلَى الأَرْضِ
عَلَى أَنَّهَا تَعْفُو الْكُلُومُ وَإِنَّمَا *** تُوَكَّلُ بِالْأَدْنَى وَإِنْ جَلَّ مَا يَمْضِي

قَالَ أَبُو الْبَقَاءِ العُكْبُرِي (ت616هـ): "مَوْضِعُ (عَلَى) وَمَا يَتّصِلُ بِهِ حَالٌ، وَالْعَامِلُ فِيهِ (لاَ أَنْسَى) أَيْ: مَا أَنْسَى هَذَا الرُّزْءَ فِي حَالِ الْكُلُومِ، أَيْ: حَالِي مُخَالِفَةٌ لِحَالِ غَيْرِي فِي اِسْتِدَامَةِ الْحُزْنِ" وَكَذَا مَا نَحْنُ بِصَدَدِهِ يُقَدَّر أَنَّهُمْ اِخْتَارُواْ مُعَارَضَةَ السَّيْفَ وَحْدَهُ؛ حَالَ عِلْمِهِمْ أَنَّ السَّيْفَ وَحْدَهُ مِخْرَاقُ لَاعِبٍ، فَحَالُهُمْ مُخَالِفٌ لِحَالِ غَيْرِهِمْ فِي اِخْتِيَارِهِمْ السَّيْفَ الْعَاطِلَ».[80]

يبدو أنَّ "الإمام الطِّيبي" -من أعيان القرن الثامن الهجري- يذهب في تأويله إلى أنَّ شبه الجملة (على أنَّ السيف) واقعة إعرابيا موقع الحال، ولإشباع تأويله قام باستدعاء فهم "أبي البقاء العكبري" -من أعيان القرن السابع الهجري- لحالة مشابهة للموقف التأويلي في شعر "أبي خِراش الهذلي"، فنسج على منواله خطابا تأويليا يوازيه ويناظره في الفهم، وهذا ما دلت عليه عبارته: (وكذا ما نحن بصدده)؛ لأنَّ الفهم المشترك يُذيب المسافة الزمنية الفاصلة بين القراءات؛ فينقل التأويل من دائرة الاختلاف إلى فضاء الائتلاف.

وبناءً على ما احتشد بين يدي البحث من كلام يمكن استصفاء النتائج التالية:

- حاول البحث ضبط لغته الواصفة (المفاهيم) بما يناسب سياق المقاربة (تأويلية التساند).

- بيَّن البحث أنَّ المداخل التأويلية نوعان: مداخل مساقية داخلية تشتغل على مستوى النسق اللساني، ومداخل سياقية خارجية تشتغل على مستوى السياق بمفهومه المُوسَّع.
- أشار البحث إلى مفهوم الدائرة الهرمنيوطيقية في شرح فتوح الغيب؛ حيث انطلق "الإمام الطِّيبي" في تأويله من الإجمال إلى التفصيل، ثم ارتدَّ من التفصيل إلى الإجمال.
- أعرب البحث عن أهم المداخل التأويلية التي وظفها "شرف الدِّين الطِّيبي" في تأويل مقدمة الكشاف، وتمثَّلت في مداخل نصية كالمعجم، والصرف، والنحو، والبلاغة، ومداخل ميتا-نصية استدلالية موازية كالشواهد القرآنية، والحديثية، والشعرية، واستدعاء الأفهام.
- أظهر البحث كيف تبرز الوظيفة التساندية بين المداخل التأويلية في تأويل خطاب المقدمات فاللغة تسند الصرف، والصرف يدعم النحو، والنحو يتضام مع البلاغة، والشاهد القرآني يعضد توجيها نحويّاً أو بلاغيّاً، والشاهد الحديثي يُقوّي تخريجا لسانيا، والشاهد الشعري يدعم دلالة معجمية، والفهم الغائب يعضد فهما حاضرا على سبيل الاستدعاء.
- توصل البحث إلى أنَّ "شرف الدّين الطّيبي" كان محترزا في تعاطي التأويل؛ خشية أن يتحول التأويل إلى تقويل.
- أثبت البحث أنَّ المقاربة التأويلية المؤسسة على نظرية التساند التأويلي مقاربةٌ ناجعة في تأويل النصوص وفهم الخطابات، ومنها خطاب التقديم.
- اكتشف البحث أنَّ الخطاب التقديمي في تفسير الكشاف خطابٌ مُخاتل لا يمكن أخذ مقاصده على حرفيتها، الأمر الذي صيَّرَه محفلا للقراءة والتأويل، وفي هذا دعوة للباحثين والدارسين بأن يستثمروا مِلَلَهُم النظرية، ونِحَلَهُم المعرفية، ومساطرهم المنهجية في دراسة الخطاب الزَّمخشريّ بما يثري موضوع البحث ويثمنه.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم: رواية ورش عن الإمام نافع بن عبد الرحمان بن أبي نُعيم المدني.

1) أحمد بن زكريا بن فارس، مقاييس اللغة، (تح): أنس محمد الشامي، دار الحديث، القاهرة–مصر، دط، 1429هـ 2008م.
2) أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة-مصر، ط1، 1429هـ/2008م.
3) أبو القاسم محمود الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، (تح) عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض-المملكة العربية السعودية، ط1 1418هـ/1998م.
4) محمد بازي، التأويلية العربية (نحو نموذج تساندي في فهم الخطابات والنصوص)، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة-الجزائر، ط1، 1431هـ/2010م.
5) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة - مصر، ط4، 2004م.

6) جمال الدين محمد ابن منظور، لسان العرب، (تح): عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة-مصر دط، دت.
7) أبو الوليد محمد بن رشد، فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، (تح): محمد عمارة، دار المعارف القاهرة-مصر، ط3، دت.
8) يوسف بن عبد الرحمان بن الجوزي، كتاب الإيضاح لقوانين الاصطلاح (في الجدل والمناظرة)، (تح): محمد بن محمد السيد الدغيم، مكتبة مدبولي القاهرة-مصر، ط1، 1415ه/1995م.
9) عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، بيروت – لبنان، ط3، دت.
10) أومبرتو إيكو، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، (تر): سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، ط2، 2004م.
11) جميل صيليبيا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت-لبنان، دط، 1982م.
12) عادل مصطفى، فهم الفهم (مدخل إلى الهرمنيوطيقا)، دار رؤية، القاهرة-مصر،ط1، 2007م.
13) عبد السلام حيمر، حول مفهوم التأويل، مجلة الملتقى، المغرب، دم، العدد5، 2000م.
14) محمد علي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، (تح): رفيق العجم وعلي دحروج، مكتبة لبنان، بيروت-لبنان ط1، 1996م.
15) أندرو إدجار وبيتر سيدجويك، موسوعة النظرية الثقافية (المفاهيم والمصطلحات الأساسية)، (تر): هناء الجوهري، المركز القومي للترجمة، القاهرة-مصر، ط2، 2014م.
16) أحمد المتوكل، الخطاب وخصائص اللغة العربية (دراسة وظيفية في البنية والنمط)، منشورات الاختلاف الجزائر العاصمة-الجزائر، ط1، 1431ه/2010م.
17) طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، ط1 1998م.
18) محمد بازي، صناعة الخطاب (البنى العميقة للتأويلية العربية)، دار كنوز المعرفة، عمان-الأردن، ط1 1436ه/2015م.
19) علي حرب، النص والحقيقة (نقد النص)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، ط3، 2000م.
20) علي حرب، النص والحقيقة (نقد الحقيقة)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، ط3، 2000م.
21) شرف الدين بن عبد الله الطِّيبي، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، (تح): إياد أحمد الغوج وجميل بني عطا، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، دبي-الإمارات العربية المتحدة، ط1، 1434ه/2013م.
22) محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة-مصر،دط، دت.
23) جلال الدين بن عبد الرحمان السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، (تح): أبو الفضل إبراهيم مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، ط1، 1348ه/1964م.
24) الشريف المرتضى علي بن الحسين، غرر الفوائد ودرر القلائد، (تح): أبو الفضل إبراهيم، دار الكتاب العربي بيروت-لبنان، دط، 1968م.
25) باتريك شارودو ودومينيك مونغو، معجم تحليل الخطاب، (تر): عبد القادر المهيري وحمَّادي صمُّود، دار سيناترا، تونس، دط، 2008م.

هوامش البحث:

[1]- أحمد بن زكريا بن فارس، مقاييس اللغة، (تح): أنس محمد الشامي، دار الحديث، القاهرة – مصر، دط، 1429ه 2008م، كتاب السين، ص418.

[2]- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة-مصر، ط1، 1429ه/2008م، حرف السين، ج1، ص1117.

[3]- أبو القاسم محمود الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، (تح) عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض-المملكة العربية السعودية، ط1 1418ه/1998م، ج4، ص502.

[4]- محمد بازي، التأويلية العربية (نحو نموذج تساندي في فهم الخطابات والنصوص)، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة-الجزائر، ط1، 1431ه/2010م، ص348.

[5]- أحمد بن زكريا بن فارس، مقاييس اللغة، كتاب الدال، ص312.

[6]- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة - مصر، ط4، 2004م، حرف الدال ص275.

[7]- جمال الدين محمد ابن منظور، لسان العرب، (تح): عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة - مصر دط، دت، مجلد1، ج3، حرف الألف، ص171.

[8]- أبو الوليد محمد بن رشد، فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، (تح): محمد عمارة، دار المعارف القاهرة-مصر، ط3، دت، ص32.

[9]- يوسف بن عبد الرحمان بن الجوزي، كتاب الإيضاح لقوانين الاصطلاح (في الجدل والمناظرة)، (تح): محمد بن محمد السيد الدغيم، مكتبة مدبولي القاهرة-مصر، ط1، 1415ه/1995م، ص111.

[10]- جمال الدين محمد ابن منظور، لسان العرب، المجلد1، ج3، حرف الألف، ص172.

[11]- محمد بازي، التأويلية العربية (نحو نموذج تساندي في فهم الخطابات والنصوص)، ص346.

[12]- ينظر: عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، بيروت – لبنان، ط3، دت، ج3، ص20.

[13]- أومبرتو إيكو، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، (تر): سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط2، 2004م، ص11.

[14]- جميل صليبيا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت-لبنان، دط، 1982م، ج1، ص243.

[15]- عادل مصطفى، فهم الفهم (مدخل إلى الهرمنيوطيقا)، دار رؤية، القاهرة-مصر،ط1، 2007م، ص24.

[16]- المرجع نفسه، ص32.

[17]- عبد السلام حيمر، حول مفهوم التأويل، مجلة الملتقى، المغرب، دم، العدد5، 2000م، ص37.

[18]- ينظر: المرجع نفسه، ص36.

[19]- جمال الدين محمد ابن منظور، لسان العرب، المجلد1، ج3، ص172.

[20]- الحُزْمَةُ: وحدة معجمية تدل مشتقاتها على الربط، والضبط، والشد، والجمع، لهذا آثرت توظيفها لتلاؤمها الدلالي مع وضعية المؤوِّل عند انطلاقه في النشاط التأويلي؛ فمن المتواطئ عليه أنَّ المُنْطَلِقَ في شأن من الشؤون -كالمسافر مثلا- لا بد له من ربط، وضبط، وشد، وجمع، وفي اعتقادي لا يوجد مسافر كالمؤوِّل بين مقاصد الخطاب.

[21]- أحمد بن زكريا بن فارس، مقاييس اللغة، كتاب الخاء، ص262.

[22]- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، حرف الخاء، ص243.

[23]- جمال الدين محمد ابن منظور، لسان العرب، مجلد5، ج40، حرف القاف، ص3553، 3554.

[24]- ينظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، حرف الخاء، ص243.

[25]- محمد علي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، (تح): رفيق العجم وعلي دحروج، مكتبة لبنان، بيروت-لبنان ط1، 1996م، ص1630.

[26]- أندرو إدجار وبيتر سيدجويك، موسوعة النظرية الثقافية (المفاهيم والمصطلحات الأساسية)، (تر): هناء الجوهري، المركز القومي للترجمة، القاهرة-مصر، ط2، 2014م، ص289.

[27]- أحمد المتوكل، الخطاب وخصائص اللغة العربية (دراسة وظيفية في البنية والنمط)، منشورات الاختلاف الجزائر العاصمة-الجزائر، ط1، 1431هـ/2010م، ص24.

[28]- طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، ط1 1998م، ص215.

[29]- محمد بازي، صناعة الخطاب (البنى العميقة للتأويلية العربية)، دار كنوز المعرفة، عمان-الأردن، ط1 1436هـ/2015م، ص26.

[30]- علي حرب، النص والحقيقة (نقد النّص)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، ط3، 2000م، ص20.

[31]- علي حرب، النص والحقيقة (نقد الحقيقة)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، ط3، 2000م ص12.

[32]-شرف الدين بن عبد الله الطِّيبي، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، (تح): إياد أحمد الغوج وجميل بني عطا، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، دبي-الإمارات العربية المتحدة، ط1، 1434هـ/2013م، ج1، ص611.

[33]- محمد بازي، صناعة الخطاب (البنى العميقة للتأويلية العربية)، ص59.

[34]-محمد بازي، التأويلية العربية (نحو نموذج تساندي في فهم الخطابات والنصوص)، ص146. وعندما يعاين القارئ الخطاب التقديمي في "فتوح الغيب" سيلاحظ أنَّ "شرف الدين الطِّيبي" أبان عن الآليات التأويلية التي استعان بها في شرح تفسير الكشاف.

[35]- ينظر: عادل مصطفى، فهم الفهم (مدخل إلى الهرمنيوطيقا)، ص340.

[36]- محمد بازي، التأويلية العربية (نحو نموذج تساندي في فهم الخطابات والنصوص)، ص354.

[37]- ينظر: عادل مصطفى، فهم الفهم (مدخل إلى الهرمنيوطيقا)، ص100، 101.

[38]- شرف الدين بن عبد الله الطِّيبي، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، ج1، ص 613.

[39]- محمد بازي، صناعة الخطاب (البنى العميقة للتأويلية العربية)، ص53.

[40]- أبو القاسم محمود الزمخشري، الكشاف، ج1، ص95.

[41]- شرف الدين بن عبد الله الطِّيبي، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، ج1، ص614-619.

[42]- محمد بازي، التأويلية العربية (نحو نموذج تساندي في فهم الخطابات والنصوص)، ص354.

[43]- ينظر: محمد بازي، صناعة الخطاب (البنى العميقة للتأويلية العربية)، ص55، 56.
[44]- أبو القاسم محمود الزمخشري، الكشاف، ج1، ص95.
[45]- شرف الدين بن عبد الله الطِّيبي، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، ج1، ص632.
[46]- ينظر: عباس حسن، النحو الوافي، ج3، ص250.
[47]- ينظر: محمد بازي، التأويلية العربية (نحو نموذج تساندي في فهم الخطابات والنصوص)، ص199.
[48]- ينظر: المرجع نفسه، ص354.
[49]- أبو القاسم محمود الزمخشري، الكشاف، ج1، ص95.
[50]- شرف الدين بن عبد الله الطِّيبي، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، ج1، ص618-629.
[51]- ينظر مفصَّلا: محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة-مصر، دط، دت، ج1، ص304.
[52]- علي حرب، النص والحقيقة (نقد الحقيقة)، ص11.
[53]- جلال الدين بن عبد الرحمان السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، (تح): أبو الفضل إبراهيم مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، ط1، 1348ه/1964م، ج1، ص522.
[54]- ينظر: محمد بازي، التأويلية العربية (نحو نموذج تساندي في فهم الخطابات والنصوص)، ص354.
[55]- محمد بازي، صناعة الخطاب (البنى العميقة للتأويلية العربية)، ص62.
[56]- جلال الدين بن عبد الرحمان السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج1، ص522.
[57]- أبو القاسم محمود الزمخشري، الكشاف، ج1، ص95.
[58]- شرف الدين بن عبد الله الطِّيبي، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، ج1، ص640، 641.
[59]- علي حرب، النص والحقيقة (نقد النّص)، ص15.
[60]- محمد بازي، التأويلية العربية (نحو نموذج تساندي في فهم الخطابات والنصوص)، ص137، 138.
[61]- ينظر: المرجع نفسه، ص174.
[62]- ينظر: المرجع نفسه، ص175.
[63]- أبو القاسم محمود الزمخشري، الكشاف، ج1، ص95.
[64]- شرف الدين بن عبد الله الطِّيبي، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، ج1، ص622.
[65]- أبو القاسم محمود الزمخشري، الكشاف، ج1، ص95.
[66]- شرف الدين بن عبد الله الطِّيبي، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، ج1، ص632.
[67]- أبو القاسم محمود الزمخشري، الكشاف، ج5، ص554، 555.
[68]- ينظر: محمد بازي، التأويلية العربية (نحو نموذج تساندي في فهم الخطابات والنصوص)، ص177.
[69]- أبو القاسم محمود الزمخشري، الكشاف، ج1، ص98.
[70]- شرف الدين بن عبد الله الطِّيبي، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، ج1، ص675.
[71]- محمد بازي، التأويلية العربية (نحو نموذج تساندي في فهم الخطابات والنصوص)، ص180.
[72]- أبو القاسم محمود الزمخشري، الكشاف، ج1، ص96.
[73]- شرف الدين بن عبد الله الطِّيبي، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، ج1، ص662.

[74]- أحمد بن زكريا بن فارس، مقاييس اللغة، كتاب الميم، ص846.

[75]- الشريف المرتضى علي بن الحسين، غرر الفوائد ودرر القلائد، (تح): أبو الفضل إبراهيم، دار الكتاب العربي بيروت-لبنان، دط، 1968م، ج1، ص326.

[76]- شرف الدين بن عبد الله الطِّيبي، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، ج1، ص612.

[77]- ينظر: عادل مصطفى، فهم الفهم (مدخل إلى الهرمنيوطيقا)، ص334.

[78]- باتريك شارودو ودومينيك مونغو، معجم تحليل الخطاب، (تر): عبد القادر المهيري وحمَّادي صمُّود، دار سيناترا، تونس، دط، 2008م، ص184.

[79]- أبو القاسم محمود الزمخشري، الكشاف، ج1، ص95.

[80]- شرف الدين بن عبد الله الطِّيبي، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، ج1، ص639، 640.